سورة الليل

رقم

(92)

في ترتيب المصحف

رقم

(10)

في ترتيب النزول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهنا :

(1) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1)

الواو هنا :

(و)

الواو هنا للقسم كقوله تعالى { **و**الفجر وليال عشر } أو كقوله تعالى { **و**الضحى والليل إذا سجى } أو كقوله تعالى { **و**العصر إن الإنسان لفي خسر}

[وبإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى { وَٱلَّيْلِ } يقول أقسم الله بالليل { إِذَا يَغْشَىٰ } ضوء النهار { وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ } ظلمة الليل { وَمَا خَلَقَ } والذي خلق { ٱلذَّكَرَ وَٱلأُنثَىٰ إِنَّ سَعْيَكُمْ } عملكم { لَشَتَّىٰ } مختلف مكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ومصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وعامل للجنة وعامل للنار – تفسير القرآن للفيروز أبادي] .

وفي تفسير مجمع البيان للطبرسي :

[المعنى: { والليل إذا يغشى } أقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى بظلمته النهار. وقيل: إذا يغشى بظلمته الأفق وجميع ما بين السماء والأرض والمعنى إذا أظلم وادلهمَّ وأغشى الأنام بالظلام لما في ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام { والنهار إذا تجلى } أي بان وظهر من بين الظلمة وفيه أعظم النعم إذ لو كان الدهر كله ظلاماً لما أمكن الخلق طلب معايشهم ولو كان ذلك كله ضياء لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم فلذلك كرَّر سبحانه ذكر الليل والنهار في السورتين لعظم قدرهما في باب الدلالة على مواقع حكمته - معجم البيان للطبرسي] .

وأما :

(الليل)

ورد لفظ الليل في قوله تعالى { والضحى **والليل** إذا سجى } وسجى بمعنى [.سجى يعني سكن ودام وبقي] وذلك إذا غشى الليل النهار كما في قوله تعالى { **والليل** إذا يغشى والنهار إذا تجلى - الليل } فإذا غشى الليل النهار وغطاه ظهر القمر كما في قوله تعالى { والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها **والليل** إذا يغشاها – الشمس } .
والليل بظلمته وسواده في كتاب الله تعالى يرمز إلى الكفر والظلم والخروج على أوامر الله تعالى وكذلك العكس النور رمزاً للإيمان بالله تعالى وطاعته وولايته الحق وتداول الحكم بين هذين الفريقين ضرب الله تعالى له مثلاً بالليل والنهار كما في قوله عز وجل { ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ **اللَّيْلَ** فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي **اللَّيْلِ** وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ – الحج 60-62 } . أي أنه كما يقلب الله تعالى الليل والنهاركذلك يقلب الله تعالى الدول بين الظالم والمظلوم بين الكفار والمؤمنين . وهذا هو الوجه

الآخرمن بيان الله تبارك وتعالى لكتابه العزيز بعد أن أقسم عز وجل بالليل والنهار وما فيهما من آيات .
وعلى ذلك وجه البيان القرآني للقرآن الكريم هنا في قوله تعالى { **والليل** إذا يغشى } رمزاً ومثالاً ضربه الله تعالى بعد شروق شمس ونور النبوة ثم غروبها وما هو قادم على الأمة من ظلمات ومرزها بالليل وظلمته والتي بدأت بموته صلى الله عليه وآله وبداية الإنقلاب وانتشار الكذب عليه صلى الله عليه وآله في مناقب الرجال والبلدان وتبديل بعض الأحكام في ليل من ظلمات الكذب والردة والخروج على أوامر الله تعالى التي قال فيها عز وجل : { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين – آل عمران } وإثم التبديل والتغيير يقع على وزره على الفاعلين لتلك الجريمة وليس العاملين بها بحسن نية لقوله تعالى { فمن بدله من بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه – البقرة } . قال الطبري ي تفسيره عن الهاء في كلمة (بدله) :
[وإنما قلنا إن " الهاء " في قوله: " فمن بدله " عائدة على محذوف من الكلام يدل عليه الظاهرُ، لأن قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ من قول الله, وأنّ تبديل المبدِّل إنما يكون لوصية الموصِي. فأما أمرُ الله بالوصية فلا يقدر هو ولا غيره أن يبدِّله، فيجوز أن تكون " الهاء " في قوله: " فمن بدله " عائده على " الوصية ". – تفسير الطبري] .

وأما :

(إذ)

وهذا اللفظ ورد كدلالة على أن الليل والنهار آيات من آيات الله في قوله تعالى { وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ف**إذا** هم مظلمون- يس 37 } وهذه آية ظاهرة قال تعالى فيها هنا { والليل **إذا** يغشى }
وفي موضع آخر يبين تعالى أن هذا اللفظ يأتى على الكفار الذين كفروا بالله تعالى وآياته ورسوله صلى الله عليه وآله في قوله تعالى { إنهم كانوا **إذا** قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون - الصافات 35 } .وهذا الكفر من الظلمات والتي ضرب الله تعالى لها مثلاً بالليل وظلمته كما سنبين ولقوله تعالى هنا { والليل **إذا** يغشى }
وكذلك يأتي هذا اللفظ ليبين ظلمات النفاق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في الذين قدموا أراء وأهواء علمائهم على نصوص القرآن فجعلوهم حكاماً على كتاب الله بحجة كثرة فهمهم فلا يسألون على الدليل في التحريم أوالتحليل لذلك قال تعالى في هؤلاء الذين يرفضون نصوص كتاب الله دون يقديم عليه رأي رجالهم : { و**إذا** ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَ**إِذَا** ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ – الزمر 45 } .

وهذه ظلمات بينها الله تعالى في قوله عز وجل هنا { والليل **إذا** يغشى } والحق أن يقدم الديل القرآني أولاً ثم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ثم آثار أهل بيت النبي ثم أراء السادة العلماء فلا ضير في ذلك ولا يجوز للعماء إطلاق حكم دون دليل سيسأل عنه كل مسلم يوم القيامة كما في قوله تعالى { قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين } .

(يغشى)

وهنا إذا قال تعالى { والليل **إذا يغشى** } أي غطى النهار وأخفاه كما في قوله تعالى { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ **يُغْشِي** اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ – الأعراف 54} .

وإذا كان المعنى هنا ورد كدلالة على حركة الليل والنهار وهو الواضح من ظاهر معنى الآية فإن الكثير من المفسرين ظنوا أن هذا هو مبلغ الكمال في هذا البيان وهو بيان منقوص لأن لورود هذه الكلمة في فعل قوم نوح وإصرارهم على العناد والكفر في قوله تعالى : { وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ **وَاسْتَغْشَوْا** ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا – نوح 7 } ليؤكد نفس المعانى السابقة وهى كلمات (و **الليل** إذا) في بيان القرآن الكريم على الكلمة على أنها ظاهلرة كونية يومية يراها الإنسان من إقبال الليل وإدبار النهار يتبي قدرة الله تعالى وعظمته ن من خلالهما آية الله تعالى وعظمته في خلقه وهو أيضاً مثال ضربه الله تعالى على الردة والكفر والإنقلاب والتبديل الذي حدث بعد موته صلى الله عليه وآله من قوم أهم صفة فيهم العناد كا قوم نوح كما أسلفنكما من قبل وبينها الله تعالى في كتابه الكريم وأكد بيان هذه الكطلمة هنا نفس المعنى السابق في القسم بالليل ثم قوله تعالى هنا **(إذا يغشى)** هنا .

ثم يقول تعالى :

(2) والنهار إذا تجلى (2)

وهنا القسم بالنهار في قوله تعالى

(والنهار)

وهنا يبين تعالى أن جلاء الليل بظلمته يكون بالنهار والشمس كما في قوله تعالى { والشممس وضحاها والقمر إذا تلاها **والنهار** إذا جلاها – الشمس } [وجلاها : بمعة كشفه وأظهره – معجم ألفاظ القرآن باب الجيم فصل اللام والألف] . وفي تلك

الظاهرة الكونية آية قال تعالى فيها { ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه **والنهار** مبصرا – النمل 86} . وفي ذلك آية من آيات الله تعالى قال فيها { ومن آياته منامكم بالليل **والنهار** وابتغاؤكم من فضله – الروم 23 } .

والنهار هنا هو الذي يجلي الليل بظلمته والنهار بنوره أيضاً جعله الله تعالى مثالاً للإيمان بالله تعالى وولايته الحق ولكن يبين تعالى نفس المعاني السالفة الذكر من أن هناك طائفة من أهل الكتاب ومعهم المنافقين من قريش والأعراب سيكذبون على الله تعالى ورسوله لورد هذا اللفظ في قوله تعالى :
{ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ **النَّهَارِ** وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ – آل عمران 72 } ولذلك أشارت الآية الأولى هنا أن الليل سيغشى نور النهار بانتشار الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وفي شريعة الإسلام ولكن النهار سيجلي هذا الليل بإذن الله لقوله تعالى هنا { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى **وَالنَّهَارِ** إِذَا تَجَلَّى – الليل 1-2 } .
وذلك بعد زمن من البغي على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين لقوله تعالى { ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي **النَّهَارِ** وَيُولِجُ **النَّهَارَ** فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ - الحج 60-62} .

ثم يقول تعالى :

(3) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3)

(وما خلق)

وهنا يقول تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ **خَلْقُ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ – الشورى 29 } ولذلك يأمر الله تعالى بعبادته كما في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي **خَلَقَكُمْ** وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ - البقرة 21 } ويأمر بتقواه عز وجل كما في قوله تعالى
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي **خَلَقَكُم** مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا - النساء 1 }

ثم يبين تعالى أنه خلق بني آدم من ذكر وأنثى ليتعارفوا لا ليتقاتلوا وليعلموا أن أقربهم من الله تعالى وجنته هم أتقاهم لله عز وجل كما في قوله تعالى
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا **خَلَقْنَاكُم** مِّن **ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ** وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ – الحجرات 13 } .

وبين تعالى أن الله تعالى له رسل وأنبياء وذرية لهم أوكل الله تعالى لهم هداية الخلق كما في قوله تعالى : { وَمِمَّنْ **خَلَقْنَا** أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181)- الاعراف 181} ويبين تعالى أن من خلقه أمم لن تؤمن به تعالى وسيشركون المخلوق في طاعة الخالق عز وجل لذلك قال تعالى في هؤلاء { أيشركون مالا **يخلق** شيئاً وهم **يخلقون** – الاعراف 191 }

وهذا خلق الله تعالى من سماوات وأرض ودواب وخلق فماذا خلق هؤلاء الذين أشركوا به تعالى وقهروا وأجبروا الناس على طاعتهم من دون الله تعالى كما في قوله عز وجل { هَذَا **خَلْقُ** اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ- لقمان 11 }

ثم يتوعدهم الله تعالى إن لم يتوبوا فسيهلكهم ويورث الأرض لأمم مؤمنة به غيرهم كما في قوله تعالى { إن يشأ يذهبكم ويأت **بخلق** جديد – إبراهيم 19} وهذا الخلق الجديد الذين سيرثون الأرض من بعد الظالمون من أهلها خلقهم الله تعالى من ذكر وأنثى كما في قوله تعالى هنا { **وَمَا خَلَقَ** الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى }

وأما :

(الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى)

أي أنه يقول تعالى هنا { وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ **الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ** مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ - النجم 45-47} ثم يذكر الله تعالى هؤلاء المشركين الذين أشركوا المخلوق في طاعة الخالق : { أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ **الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ** أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ - القيامة 37-40} ومن الذكر والأنثى خلق الله تعالى كل شعوب العالم وبين لهم أن أتقاهم هم أقربهم إلى الجنة كما في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن **ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ** وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ – الحجرات 13 } ويبين تعالى أن أتقاهم هم الذين اصطفاهم الله عز وجل كما في قوله تعالى
{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ – آل عمران 33-34 } وآخر هذه الذرية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النبيين الأئمة من ذريته ولذلك في قراءة بن مسعود في مصحفه { وآل محمد على العالمين} [تفسير البحر المحيط لأبو حيان التوحيدي ج 2 ص 435] ويكون الذكر والأنثى بعد آدم عليه السلام وعلى زوجه كل نبي وزوجته في كل زمان وخاتم هذا النور النبوي الذي اصطفاه الله عز وجل في سيدنا محمدد ولكن يأبى الله إلا أن يكون النور ممتد من السيدة خديجة دوناً عنهن ثم من السيدة فاطة والإمام علي عليهم السلام جميعاً ثم يبث الله تعالى منهما نور الإمامة

ليمتد منهما إلى إمام آخر الزمان ثم القيامة ولذلك قال تعالى هنا في القسم { وما خلق **الذكر والأنثى** } .

ثم يقول تعالى :

(4) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4)

وهنا :

(إن سعيكم)

[وسعى يسعى سعياً : مشى سريعاً دون العدو أو سار مطلق سير أو عمل خيراً أو شراً – معجم ألفاظ القرآن الكريم لجماعة من علماء الازهر – باب السين فصل العين والياء] قال تعالى { وجاء رجل من أقصى المدينة **يسعى** – القصص 20 }

فإن كان سعيه في شر قال تعالى فيه { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ – المائدة 33 }
وقال تعالى { وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ – الحج 51}
وإن كان سعيهم في العمل الصالح قال تعالى فيه { فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ **لِسَعْيِهِ** وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ - الانبياء 94} وهؤلاء هم الذين عملوا الصالحات لله تعالى والدار الآخرة وقال تعالى فيهم { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ **وَسَعَىٰ** لَهَا **سَعْيَهَا** وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا – الاسراء 19 }

ولذلك يقول تعالى عن يوم القيامة { إن الساعة آتية أكلد لأخفيها لتجزى كل نفس بما **تسعى** – طه 15 } وهذا السعي سوف يرى ويجازى عليه إن خيراً فخير وإن شراً فا شر لقوله تعالى { وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا **سَعَى** وَأَنَّ **سَعْيَهُ** سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا – النجم 39-44 }
ويقول تعالى هنا لذاك عن الثواب والعقاب بين الفريقين فريق الجنة وفريق السعير : { إِنَّ **سَعْيَكُمْ** لَشَتَّى فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى– الليل 4-10 }
ومن يعمل صالحاً فلا كفران لسعيه كما في قوله تعالى { فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ **لِسَعْيِهِ** وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ – الأنبياء 94 } .

وأما :

(لشتى)

[وشت الجمع : يشت شتاتاً : تفرق فهو شتيت وهم شتى : أي متفرقون - معجم ألفاظ القرآن الكريم لجماعة من علماء الازهر – باب الشين فصل التاء والياء]
قال تعالى { لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ **أَشْتَاتًا** ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ – النور 61} وقال تعالى أيضاً في تفرق كلمة اليهود وكل من خرج على طاعة الله تعالى وولايته على الرغم من تظاهرهم بالوحدة { تحسبهم جميعاً وقلوبهم **شتى** – الحشر 14} ثم يستثني الله تعالى الكرماء الأتقياء مبيناً أنهم لا يفرق الله كلمتهم في قوله تعالى هنا { إِنَّ سَعْيَكُمْ **لَشَتَّى** فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى– الليل 4-7 } ومن هنا نبين أن تفرق كلمة المسلمين وتشتتهم الآن سببه خروجهم على ولاية أهل بيت نبيهم الذين قال فيهم صلى الله عليه وآله أن ولايتهم أمان من الفرقة كما في قوله صلى الله عليه وآله [أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس - رواه الحاكم (4715) وقال صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله : بل موضوع] .
وتتبع أحداث ووقائع التاريخ تؤكد صحة الحديث فكلما اجتمعوا على قتل أهل بيت النبي أو شيعتهم وأنصارهم ومحبيهم تفتتوا واقتتلوا بظلمهم ومن قال الإمام علي هليه السلام [وليضربن عليكم التيه أكثر مما ضرب على بني إسرائيل – نهج البلاغة] .

ثم يقول تعالى :

(5) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5)

والآية هنا نزلت في أبو الدحداح الأنصاري (رضى الله عنه) وتصديقه رسول الله صلى الله عليه وآله خبر النخلة التي تنازل عنها بحديقة في الجنة – أسباب النزول] .

وهنا :

(فأما)

وردت هذه الآية (لأن كل حرف في كتاب الله تعالى آية) في {فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيما – النساء 175 }
وهؤلاء هم الذين أعطوا واتقوا الله تعالى هنا وهؤلاء هم الذين أوتوا كتابهم بأيمانهم كما في قوله تعالى { **فأما** من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا و**أما** من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى إن ربه كان به بصيرا – الإنشقاق } وهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وطنوا أنهم ملاقوا الله تعالى وسيحاسبون على أعمالهم كما في قوله تعالى { **فَأَمَّا** مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ **وَأَمَّا** مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ - الحاقة 19- 35 } .

وأما :

- **(أعطى)**

[وأعطاه : ناوله إياه والعطاء إسم لما يعطى – معجم ألفاظ القرآن باب العيم فصل الطاء والياء] .
قال تعالى {وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ **أُعْطُوا** مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ **يُعْطَوْا** مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ – التوبة 58 }
والعطاء هنا الصدقات والزكاة والخمس وأي عطاء في سبيل الله ودعم الفقير لورود هذا اللفظ في قوله تعالى { هذا **عطاؤنا** فامنن أو أمسك بغير حساب ص 39 } . ومن أعطى واتقى هنا فسييسره الله تبارك وتعالى لليسرى كما في قوله تعالى { فَأَمَّا مَنْ **أَعْطَى** وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى الليل 5-7 }

وأما :

(واتقى)

[واتقاه : حماه وات أصلها استقبله وجعل بيته وبينه حاجزا ويقال : اتقاه : تحفظ منه وتصون وعمل على ألا يصيبه ضرر منه – معجم الفاظ القرآن بال الواو فصل القاف والياء]

قال تعالى { ومن يفعل ذلك فليس من الله في شسئ إلا أن **تتقوا** منهم **تقاه** – آل عمران 28} وبالتالي تقوى الله تعالى هى عمل الصالحات والطاعات واجتناب واتقاء كل ما يغضب الله تبارك وتعالى لقوله عز وجل { ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله **ويتقه** فأولائك هم الفائزون – النور 52}

ومن اتقى الله تعالى و عمل الصالحات واجتنب الموبقات فقد رجع إلى الله تعالى بالزاد الذي ينفعه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا ينفع فيه إلا العمل الصالح قال تعالى { وتزودوا فإن خير الزاد **التقوى واتقون** يا أولي الألباب – البقرة } وهنا من أعطى فقد أخرج حق الله في المال ومن اتقى عمل الصالحات واجتنب الموبقات وهذا سييسره الله تعالى لليسرى كما في الآية هنا { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى **وَاتَّقَى** وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى الليل 5-7 } ومن اتقى الله تعالى وعمل الصالحات وقاه الله تعالى عذاب السموم لقوله عز وجل { فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا **وَوَقَانَا** عَذَابَ السَّمُومِ – الطور 27 } .
ومن هنا تصح قول الإمام علي (عليه السلام) في تعريف التقوى عندما سئل عنها فقال معرفاً إياها : [هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل - جاء في سبل الهدى والرشاد للصالحي تلميذ السيوطي رحمهما الله ج1 ص 421] .

ثم يقول تعالى :

(6) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6)

(وصدق)

التصديق يكون بكلام الله تعالى المنزل على أنبيائه كقوله تعالى عن السيدة مريم العذراء عليها السلام { وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا **وَصَدَّقَتْ** بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ – التحريم 12 } وبالتالي التصديق لله تعالى وكتابه ولا يوجد أصدق منه لقوله تعالى { ومن **أصدق** من الله قيلا – النساء 122} وقوله تعالى { ومن **أصدق** من الله حديثا - النساء 87 }
ومن صدق الله تعالى فقد صدق بيوم الحساب ويوم الدين لقوله تعالى { والذين **يصدقون** بيوم الدين – المعارج 26 } وهؤلاء الصادقون أمر الله تعالى بأن يتولاهم الناس ويكونا تابعين لهم لقوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع **الصادقين** - }

ومن صدق الله ورسله صدق بوعد الله تعالى ووعيده والله تعالى فليعلم أن وعد الله حق وصدق لقوله تعالى { إنما توعدون لصادق – الذاريات 5} والله تعالى سيصدقهم الوعد لقوله تعالى { قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله – الأحزاب 22 } ثم يصدق رسله وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وهؤلاء المؤمنين وعدهم الله تعالى أن يتم لهم الدين ويكمله لهم بالإمامة لقوله تعالى { وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته – الانعام 115 } ومن كلماته بعثة إمام آخر الزمان لسان الصدق الذي دعا له سيدنا إبراهيم قائلاً { واجعل لي لسان صدق في الآخرين – الشعراء 84} وولاية أهل بيت النبي والعمل بالوصية التي أوصى بها الله تعالى وأبلغها رسول الله صلى الله عليه وآله لأمته من الحنيفية الإبراهيمية التي قال تعالى فيها { قل صدق الله فاتبعوا ملة غبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين } لهؤلاء هم الأئمة الصادقون ورثة النبيين وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله لقوله تعالى { اتقوا الله وكونوا مع الصادقين }

وآخر هؤلاء الصادقين أهل بيت النبي (عليهم السلام) لما نزل فيهم وفي تابعيهم من بعدهم إلى يوم القيامة :

{ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا- الأحزاب 23}

ورد أن الآية نزلت في أنس بن النضر وقيل مصعب بن عمير[أخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن أبي ذر رضي الله عنه قال: " لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، مر على مصعب بن عمير رضى الله عنه مقتولاً على طريقه، فقرأ { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" ... } - الدر المنثور] .

والآية عامة يدخل فيها كل مؤمن و لكن هناك نصوصاً أثبت أنها نزلت في أهل بيت النبي وهم جعفر وحمزة والإمام علي (عليهم السلام) فمنهم الشهيد ومنهم من ينتظر الشهادة كما جاء في كتاب (الصواعق المحرقة) لابن حجر الهيثميّ .

[قال: وسئل عليٌّ وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: "رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً" ، فقال: (اللّهمّ غفراً، هذه الآية نزلت فيّ وفي عمّي حمزة، وفي ابن عمّي عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب، فأمّا عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأماّ أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه، وأشار إلى لحيته وهامته. ثمّ قال: عهدٌ عهده إليّ حبيبي أب القاسم صلّى الله عليه وآله. ذكره الشبلنجيُّ الشافعيّ في كتابه (نور الأبصار بمناقب آل النبيّ المختار) نقلاً عن (الفصول المهمّة في معرفة الأئمة) لابن الصبّاغ المالكيّ. وروى السيد شهاب الدين الأيجيُّ الشافعيّ في كتابه (توضيح الدلائل في تصحيح الفضائل) بإسناده عن أبي جعفر محمّد بن عليّ رضي الله تعالى عنهما قال: "وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ" عليُّ بن أبي طالب. وبإسناده عن عبد الله بن عبّاس روى الحافظ الحسكانيُّ الحنفيّ في (شواهد التنزيل لقواعد التفضيل) أنه قال: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ" ، يعني علياً وحمزة وجعفراً، "فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ"، يعني حمزة وجعفراً، "وَمِنْهُم مَّن

يَنتَظِرُ" يعني علياً، كان ينتظر أجله، والوفاء لله بالعهد والشهادة في سبيل الله، ثمّ قال ابن عبّاس: فوالله لقد رزق الشهادة!. كذا روى الحسكانيّ عن أبي إسحاق، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: (فينا نزلت: "رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ" الآية، إلى أن قال: فأنا والله، المنتظر وما بدّلت تبديلا). وفي روايةٍ أوضح رواها الشيخ سليمان القندوزيُّ الحنفيّ في مؤلّفه النافع (ينابيع المودّة لذوي القربى) عن الحافظ أبي نعيم الأصفهانيّ، قال عن ابن عباس وعن جعفر الصادق عليه السلام قالا: قال عليٌّ كرّم الله وجهة : (كنّا عاهدنا الله ورسوله، أنا وحمزة وجعفرٌ وعبيدة بن الحارث على أمرٍ وفينا به لله ولرسوله، وتقدّمني أصحابي وخلّفت بعدهم، فأنزل الله سبحانه فينا: "رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ" حمزة وجعفرٌ وعبيدة، "مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا" أنا المنتظر، وما بدّلت تبديلا.)

وهؤلاء سيصدقهم الله تعالى الوعد يوم القيامة لقوله تعالى { ثم **صدقناتهم** الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين – الأنبياء 29 } وفي الدنيا والآخرة هم ورثة الأرض من بعد هلاك الظالمين كما في قوله تعالى { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي **صَدَقَنَا** وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ – الزمر 74 }
وهذا الميراث لهؤلاء الصالحين في الأرض لأنهم في الآية هنا صدقوا بالحسنى أي بولاية الله تعالى ورسله وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه ثم إمامة أهل بيته عليهم السلام من بعده قال تعالى { **وصدق** بالحسنى فسنيسره لليسرى }

(الحسنى)

[وحَسُن الشيئ يحسن حسناً : صار حسناً جميلاً وأحسن أفعل تفضيل من الحُسن والحسنى مؤنث الأحسن – معجم الفاظ القرآن باب الحاء فصل السين والنون] قال تعالى { وكلا وعد الله **الحسنى** } .

والذين احسنوا هم الذين عملوا بكتاب الله تعالى لأنه قال تعالى فيه { واتبعوا **أحسن** ما أنزول إليكم من ربكم – الزمر 55 } ومن أحسن إيمانه بالله تعالى
وعمل صالحا فله الحسنى لقوله تعالى { وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء **الحسنى** وسنقول له من أمرنا يسرا – الكهف 88 } واستجابوا لأوامره تعالى كما في قوله تعالى { للذين استجابوا لربهم **الحسنى** – الرعد 18} وهذا جزاء من الله تعالى قال فيه {ويجزى الذين **أحسنوا بالحسنى** – النجم 31 } .

ويبين تعالى أن هؤلاء لهم زيادة فوق الحسنى إكراماً من الله تعالى كما في قوله عز وجل { للذين **أحسنوا الحسنى** وزيادة – يونس 26 } وهؤلاء سبق في علم الله

تعالى أنهم سيكونون من أهل الجنة وأنهم سيبعدون عن النار كما في قوله تعالى { إن الذين سبقت لهم منا **الحسنى** أولائك عنها مبعدون – الانبياء 101} .

وذلك لأنهم هنا صدقوا بالحسنى كما في قوله تعالى هنا { وصدق **بالحسنى** فسنيسره لليسرى }

ثم يقول تعالى :

(7) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)

ونيسره لليسرى هنا في الدنيا ببركة هذا القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وولاية أهل بيته (عليهم السلام) فإن الله تعالى سييسر له أمره كمافي قوله تعالى { ومن يتقي الله يجعل له من أمره **يسرا** – الطلاق 4} وهذا في الدنيا وفي الآخرة سوف يؤتى كتابه بيمينه و سوف يحاسب حساباً يسيرا وينقلب إلى أهل مسرورا قال تعالى { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ َسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا **يَسِيرًا** وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا – الإنشقاق 7-9 } .
وهنا أخذه كتابه بيمينه لأنه آمن بكتاب الله فأطاع الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) الذي يسر الله تعالى فهمه وبيانه بلغة العرب ولسانهم في أول درجات الفهم والبيان لإقامة الحجة عليهم كما في قوله تعالى { فَإِنَّمَا **يَسَّرْنَاهُ** بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا – مريم 97 } وقال تعالى أيضاً
{ ولقد **يسرنا** القرآن للذكر فهل من مدكر – القمر } . ومن عمل بكتاب الله وآمن به هنا فسييسره الله تبارك وتعالى لليسرى في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى **{ فسنيسره لليسرى }** .

ثم يقول تعالى :

(8) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وكذب بالحسنى (9)

وهنا :

(وأما من بخل)

[البخل ضد الجود : وهو إمساك المال عما لا يصح حبسه عنه – معجم ألفاظ القرآن باب الباء فصل الخاء واللام] قال تعالى : { هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن **يَبْخَلُ** ۖ وَمَن **يَبْخَلْ** فَإِنَّمَا **يَبْخَلُ** عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم – محمد 38 } .

والبخل إمساك المال عن مستحقه سواء بالزكاة أو الصدقات أو إغاثة الملهوف التي قال فيها صلى الله عليه وآله [" إن الله يحب إغاثة الملهوف.. الحديث] وهنا يقول تعالى في قوم عاهدوا الله في أنفسهم وبمالم يطلع عليه أحد لئن آتاهم الله من فضله سيتصدقون فلما أخلفوا العهد مع الله تعالى أعقبهم نفاقاً لا توبة منه حتى يلاقوا ربهم أو يرجعوا عن ذلك الفعل المشين وهو البخل قال تعالى :

{ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ **بَخِلُوا** بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ - التوبة 75-77 } .

وهناك فريق آخر محارب متعمد للمؤمنين قال تعالى فيهم { هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ – المنافقون 7} .

وهؤلاء ليسوا بخلاء بل متعمدين منع حق من حقوق الله تعالى افترضه على المسلمين سواء كانت زكاة أو صدقات أو خمس مستحق لأهل بيت النبي أو سهم من أسهم المؤلفة قلوبهم فكل ذلك ليس من قبل البخل بل منع حق من حقوق الله تعالى حتى ينفضوا وإلا قلي بربك لماذا تم نزع نخل فدك بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله من السيدة فاطمة سنقول تأولاً وحرصاً على الدين إن رضينا بذلك فلابد من تفسير لمنع خمس أهل البيت عليهم السلام وإن رضينا بتأويل منعهم حقهم فهنا الطامة الكبرى ألم تسأل لماذا تم منع كل مناصب الدولة المدنية والعسكرية عن بني هاشم وبني عبد المطلب بعد موت النبي صلى الله عليه وآله حتى أجبروا وزير دفاع رسول الله صلى الله عليه وآله ليعمل عند يهودي يسقي له زرعه كل دلو بتمرة واستمر ذلك بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بعدما سلط بني أمية على رقاب الناس ونهبوا بيت المال حتى ثار عليه الخوارج وهنا يقول تعالى في ذلك العمل وما فيه من أمر بالبخل على طائفة من المؤمنين وإكرام طوائف أخرى حتى ينفضوا عن طائفة ويتولى الناس طائفة أخرى ويحدث لبس في الدين وتقديم لرجال وتأخير لأهل بيت النبي عليهم السلام ولذلك يقول تعالى هنا {الَّذِينَ **يَبْخَلُونَ** وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ **بِالْبُخْلِ** وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا – النساء 37 } .

أنا مع المنكسرة قلوبهم

[أخرج أبو نعيم في الحلية (2: 364) عن مَالِكِ بْنُ دِينَارٍ رحمه الله وهو من صغار التابعين قَالَ: " قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ أَيْنَ أَبْغِيكَ؟ قَالَ: أَبْغِنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ "

وروي أيضا من حديث عمران القصير رحمه الله وهو من صغار التابعين.

فقد أخرج أبو نعيم أيضًا في حلية الأولياء (6: 177) عن عِمْرَانَ الْقَصِيرِ رحمه الله قَالَ: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ أَيْنَ أَبْغِيكَ؟ قَالَ: ابْغِنِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ فَإِنِّي أَدْنُو مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمًا بَاعًا لَوْلَا ذَلِكَ لَتَهَدَّمُوا] .

وجدتني مريضاً فلم تعدني ... الحديث .

وقال تعالى { الَّذِينَ **يَبْخَلُونَ** وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ **بِالْبُخْلِ** وَمن يتول فإن الله هو الغني الحميد – الحديد 24 } وهنا لفظ الجلالة وهو الله تبارك وتعالى وهو هو الغني الحميد كأنها نفقة وصدقة لله وليست للمستحق من أصحاب النصاب لله سواء كان هذا فقيراً أو سيداً شريفاً فقيراً من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله أو من أصحاب النصاب المذكورين في قوله تعالى { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ – التوبة 60 } .

والله تعالى عند هؤلاء لذلك يقول تعالى في الحديث القدسي عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله : [إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القِيامَةِ : يا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أعُودُكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ ، قالَ : أما عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قالَ : يا رَبِّ وكيفَ أُطْعِمُكَ ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِندِي، يا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي ، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أسْقِيكَ ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ ، قالَ : اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أما إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِندِي. - رواه مسلم رقم 2569] .

ومن بخل سيطوقه الله تعالى بنارجهنم لقوله تعالى { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ – آل عمران 180 } .

وورد في تفسير الطبري أن البخل كان من اليهود في كتمانهم ما نول في رسول الله صلى الله عليه وآله [عن ابن عباس قوله: " ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله " إلى سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يعني بذلك أهل الكتاب، أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس تفسير الطبري] .

وهؤلاء البخلاء سواء بامال أو العلم أو كلاهما معاً سييسر الله تعالى لهم طريقاً للعسرى والهلاك في الدنيا والآخرة لقوله تعالى هنا { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى – الليل 8-10 } .

وهنا أول عقوبة يعاقب بها البخيل كراهية الناس له وبعده عن الجنة وقربه من النار لقوله صلى الله عليه وآله [عن النبي صلى الله عليه وسلم قال)) :السخيُّ قريب مِن الله، قريب من الجنة، قريب مِن الناس، بعيد من النار، والبَخيل بعيدٌ مِن الله، بعيد من الناس، قريب مِن النار، ولَجاهل سخيٌّ أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل - سنن الترمذي: (4: 342)، رقم: (1961)، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يَحيى بن سعيد إنما يروي عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل، والمعجم الأوسط: (3: 27)،

رقم: (2363)، قال المناوي: بأسانيد ضعيفة يقوى بعضها بعض؛ يُنْظَر: التيسير بشرح الجامع الصغير: (2: 137)] .

[وكان صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَدعو)) :أعوذُ بك مِن البُخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات [2] .[2])(صحيح البخاري: (11: 412)، باب قَولِه: ? وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ? [النحل: 70]، رقم: (4707)] .

[حتى أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يَجتمع الشحُّ مع الإيمان في قلب مسلم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)) :لا يَجتمِع غبارٌ في سبيل الله ودخان جهنَّم في منخرَي رجل مسلم، ولا يَجتمِع شحٌّ وإيمان في قلب رجل مسلم)) - سنن النسائي: (6: 14)، رقم: (3114)، قال الألباني: صحيح، ومسند أحمد: (12: 450)، رقم: (7480)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده] .

[وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم)) :خلَقَ الله جنَّة عدن بيده، ودلَّى فيها ثمارها، وشقَّ فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال: قد أفلح المؤمنون، قال: وعزَّتي لا يُجاورني فيكِ بخيل - المعجم الكبير: (12: 147)، رقم: (12723)، قال الهيثمي والمنذري: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين؛ أحدهما جيد، يُنْظَر: مجمع الزوائد: (11: 345)، والترغيب والترهيب: (3: 258)] .

[عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبَّتان من حديد، أو جبتان من لدن ثُديّهما إلى تَراقيهما، فإذا أراد المنفق أن ينفق سبغت الدرع عليه، أو مرت حتى تُجنَّ بنانه، وتعفو أثره، وإذا أراد البخيل أن ينفق قلصت عليه؛ يعني: الدرع، ولزمت كل حلقة موضعها حتى أخذت بعنقه أو بترقوته فهو يوسعها وهي لا تتسع - صحيح ابن حبان: (8: 106)، رقم: (3313). قال الأرنؤوط: إسناده حسن] .

وأما :

(واستغنى)

وهنا استغنى أي استغنى بالمال فدفعه هذا الإستغناء للظلم والطغيان وأول طغيان هنا يكون على أهل بيت النبي والمؤمنين لقوله تعالى { كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه **استغنى** – العلق 7 } ومن بخل واستغنى هنا فالله تعالى سييسره للعسرى كما

في قوله تعالى { وأما من بخل **واستغنى** وكذب بالحسنى فإن الجحيم هى المأوى – الليل }

وهنا لما بخلوا واستغنوا فقد استغنى الله تعالى عنهم لكفرهم بآيات الله ورسله كما في قوله تعالى { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ **وَّاسْتَغْنَى** اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ **غَنِيٌّ** حَمِيدٌ – التغابن 5-6 } . ولن يغني عنهم يوم القيامة أموالهم ولا ماكانوا يمتعون به كما في قوله تعالى { ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون – الشعراء 207 } .

ثم يقول تعالى :

(10) وكذب بالحسنى (10)

وهنا :

(كذب)

التكذيب ترك لقوله تعالى : مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ **كَذَّبُوا** بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ – الجمعة 5 } وتكذيبهم هنا تركهم العمل بكتاب ربهم والإيمان به وبالتالي تكذيبهم بالساعة عدم إيمانهم بها والعمل في طاعة الله تعالى استعداداً للحساب كقوله تعالى { بل **كذبوا** بالساعة وأعتدنا لمن **كذب** بالساعة سعيرا – الفرقان 11 } وكان هذا تكذيباً بلقاء الله تعالى كما في قوله عز وجل { قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين – يونس 45} وهنا يبين تعالى أنهم كذبوا واتبعوا أهوائهم كما في قوله تعالى { **وَكَذَّبُوا** وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ – القمر 3 } ومن هؤلاء المكذبين منافقين كذبوا على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وهم يزعمون أنهم مسلمون كما في قوله تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ **الْكَذِبَ** وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ – الصف 7 } وقد مهاهم الله تعالى عن ذلك في قوله تعالى عن الحلال والحرام { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ **الْكَذِبَ** هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ **الْكَذِبَ** ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ **الْكَذِبَ** لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ – النحل 116-117 } وهؤلاء من كفار ومنافقين مكذبين بين الله تعالى أنه سييسرهم للعسرى في الدنيا والآخرة كما في الآية هنا { وأما من بخل واستغنى **وكذب** بالحسنى فإن الجحيم هى المأوى – الليل } .

وأما :

(بالحسنى)

وهنا بينا من قبل أن الحسنى هى العمل الصالح وطاعة الله تعالى
[وحَسُن الشيئ يحسن حسناً : صار حسناً جميلاً وأحسن أفعل تفضيل من الحُسن والحسنى مؤنث الأحسن – معجم الفاظ القرآن باب الحاء فصل السين والنون]
قال تعالى { وكلا وعد الله **الحسنى** } والحسنى هنا الجزاء والثواب لقوله تعالى { وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء **الحسنى** وسنقول له من أمرنا يسرا – الكهف 88 }

والذين احسنوا هم الذين عملوا بكتاب الله تعالى لأنه قال تعالى فيه { واتبعوا **أحسن** ما أنزول إليكم من ربكم – الزمر 55 } ومن أحسن إيمانه بالله تعالى وعمل صالحا فله الحسنى لقوله تعالى واستجابوا لأوامره تعالى كما في قوله تعالى { للذين استجابوا لربهم **الحسنى** – الرعد 18} وهذا جزاء من الله تعالى قال فيه {ويجزى الذين **أحسنوا بالحسنى** – النجم 31 } .
ومن كذب بالحسنى هنا في قوله تعالى { وأما من بخل واستغنى وكذب **بالحسنى** فسنيسره للعسرى } .

ثم يقول تعالى :

(11) فسنيسره للعسرى (11)

وهنا :

(فسنيسره)

أي يسهل الله تعالى له طريقاً إلى العذاب وذلك على الله يسير كما في قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ **يَسِيرًا** – النساء 167-169} . وهؤلاء هم الذين بخلوا وكذبوا بالحسنى كما بينا ولقوله تعالى هنا { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى **فَسَنُيَسِّرُهُ** لِلْعُسْرَى – الليل 8-10} .

وأما :

(العسرى)

والعسر : الضيق والشدة والصعوبة مقابل اليسر – معجم ألفاظ القرآن باب العين فصل السين والراء] قال تعالى { سيجعل الله بعد **عسرٍ** يسرا – الطلاق 7 } وقال تعالى { لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ **الْعُسْرَةِ** مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ – التوبة 117 } ويبين تعالى هنا أن هؤلاء الكافرين لهم يوم عسر في قوله تعالى { فذلك يومئذٍ يوم **عسير** على الكافرين غير يسير – المدثر 10 } ويقول تعالى { مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم **عسر** – القمر 8 } .

وهذا اليوم العسر في الآخرة وفي الدنيا ستكون له العسرى والضنك كما في قوله تعالى { ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال ذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى – طه 124} وفي الآخرة ستتحول حياتهم إلى العسرى من أول يوم يقولون فيه { هذا يوم عسر – القمر 8} وهذا من تيسير الله تعالى للظالمين كما في الآية هنا { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فسنيسره **للعسرى** – الليل 8-10 } .

ثم يقول تعالى :

(11) ومَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11)

وهنا :

(وما يغني عنه ماله)

أي أن هؤلاء لن يغني عنهم من عذاب الله من شيئ بولايتهم غير الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام لقوله تعالى { لا **يغني** عنهم ماكسبوا شيئاً ولا ما تخذوا من دون الله أولياء – الجاثية 10 } وذلك لأن الولاية لله تعالى ورسوله ثم الإمام علي لآية الولاية في قوله تعالى { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون – المائدة } وهؤلاء لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله من شيئ لقوله تعالى { لن **تغني عنهم أموالهم** ولا أولادهم من الله شيئا – المجادلة 17 } وذلك لانهم بخلوا واستغنوا وخرجوا على طاعة الله تعالى كما بينا من قبل وما كان ذلك منهم إلا عملاً بالظن كما في قوله تعالى { إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا – النجم 28} وما كان هذا الظن إلا من إبليس لقولهع تعالى { ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين – سبأ }
وهؤلاء سيقولون لمن تولوهم من دون الله تعالى ورسوله وأهل بيته يون القيامة { إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم **مغنون** عنا نصيباً من النار – غافر 47 } وفي ذلك

اليوم لن يغني عنهم أموالهم ولا وأولادهم إذا تردوا كما في قوله تعالى { وما **يغني عنه ماله** إذا تردى – الليل } .ومن هؤلاء المجرمين أبو لهب لقوله تعالى { **ما أغنى عنه ماله** وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالى الحطب في جيدها حبل من مسد المسد } .,

وأما :

(عنه ماله)

أي أنه يقول تعالى { لن **تغني** عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولائك هم وقود النار – آل عمران 10 } .

وأما :

(إذا تردى)

[وتردى يردي ردى : تهور فيها وانقلب وهلك – معجم ألفاظ القرآن باب الراء فصل دال والياء] .
قال تعالى { والموقوذة **والمتردية** والنطيحة وما أكل السبع – المائدة 3 } والتردي هنا والعياذ بالله في جهنم وسببه ترك العمل بكتاب الله إلى الهوى والرأي والظن بغير علم لقوله تعالى { وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم **أرداكم** فأصبحتم من الخاسرين – فصلت 23 } وأما المؤمنين بعد نجاتهم من هذا اليوم العسير سيقولون { قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ **لَتُرْدِينِ** لَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ – الصافات 56- 57 }
ولو تردى في جهنم فلن تنفعه كل أموال الدنيا ليفتدي بها نفسه فلن يقبلها الله تعالى منه لقوله عز وجل { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ - المائدة 26 } . أي أنه كما قال تعالى هنا { وما يغني عنه ماله إذا **تردى** } .

ثم يقول تعالى :

(12) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12)

وهنا :

(إن علينا)

وردت هذه الآيات في قوله تعالى { **أن علينا** جمعه و قرآنه فإذا قرآنه فاتبع قرآنه ثم **إن علينا** بيانه – القيامة 17-19 } أي أنه كل من تعلم القرآن بالقرآن سيهديه الله تعالى إلى ولايته وولاية رسوله ثم إمامة أهل بيته عليهم السلام وهذا هدى لا يمكن لبشر أن يهتدي إلا بإذن الله تعالى كما في قوله تعالى هنا { إن علينا للهدى – الليل 12 } فإذا مات الخلق فإن رجوعهم إلى الله تعالى للحساب كما في قوله تعالى { **إِنَّ إِلَيْنَا** إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم - الغاشية -25-26 } .

وأما :

(للهدى)

وهنا يبين تعالى أن الهدى في كتاب الله تعالى لقوه عز وجل { هذا **هدى** – الجاثية 11 } وقوله تعالى على لسان الجن { وأنا لما سمعنا **الهدى** آمنا به – الجن } . ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعوا إلى هذا الهدى لذلك يبين تعالى أن من أطاعه فقد اهتدى قال تعالى { وإن تطيعوه **تهتدوا**- النور 54} ولكل عصر أئمة هدى من أهل بيت النبي أولهم الإمام علي لما نزل فيه من قوله تعالى { إنما أنت منذر ولكل قوم **هاد** – الرعد } [عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس قال: لما نزلت (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) ، وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال: أنا المنذر(ولكل قوم هاد), وأومأ بيده إلى منكب عليّ, فقال: أنت الهادي يا عليّ, بك يهتدي المهتدون بَعْدي – شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني] . وهذا الهدى الولاية الله تعالى ورسوله وإمامة أهل بيته عليهم السلام هداية من الله تعالى ولا لبشر فيها أي دخل إلا بلاغ الرسول فقط ولذلك يقول تعالى هنا { إن علينا للهدى – الليل 12 } ويقول تعالى لذلك لرسوله إن عليك إلا البلاغ - } وليس عليك هداهم كما في قوله تعالى : { ليس عليك **هداهم** ولكن الله **يهدي** من يشاء - البقرة 272} وهؤلاء الهداة المهديون ذرية أنبياء الله تعالى وخاتمهم سيدنا محمد لقوله تعالى بعد ذكر أنبياء الله تعالى من ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام : { وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ **وَهَدَيْنَاهُمْ** إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ذَٰلِكَ **هُدَى** اللَّهِ **يَهْدِي** بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ **هَدَى** اللَّهُ ۖ **فَبِهُدَاهُمُ** اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ– الأنعام 87-90 } وهنا بهداهم اقتده لفظ القيادة لم يأت في كتاب الله إلا على قوم ضالين قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آبائنا في سورة الزخرف في قوله تعالى { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم **مُّهْتَدُونَ** وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ – الزخرف 22-23 } أي أنه تعالى يثبت هنا بالقطع أي ولاية تخرج على أهل

بيت النبي ذرية الأنبياء قيادة مترفة خارجة على أوامر الله تعالى .والهدة لهذه الولاية على الله تعالى كما في الآية هنا { إن علينا للهدى } .

ثم يقول تعالى :

(13) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (13)

وهنا الآخرة والأولى في كتاب الله تعالى لها معنيين

الأول :

الاخرة هى الحياة فيما بعد اليوم الآخر من ايام الدنيا وهو اليوم الآخر الذي قال تعالى فيه { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم **الآخر** – الاحزاب 21 } والآخرة بعد فناء الحياة الدنيا قال تعالى فيها { نحن أوليائكم في الحياة الدنيا وفي **الآخرة** – فصلت 31 } والآخرة والأولى لله تعالى كما في قوله تعالى هنا {**وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى** – الليل } وتنتهي الحياة الاولى بالموت لقوله تعالى { لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم – الدخان 56 } .

ومن اراد الدنيا يؤته الله منها ومن أراد الآخرة يؤته الله تعالى منها كما في قوله تعالى { مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي **الْآخِرَةِ** إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ - هود 15-16} .

الثاني :

يعني أول الزمان وآخره لقوله تعالى عن قوم عاد { وأنه أهلك عادا **الأولى** وثمود فما أبقى – النجم 50-51} وقال تعالى عن فرعون لعنه الله ومن تقلد به إلى يوم القيامة : { فأخذه الله نكال **الآخرة والأولى** – النازعات 25 } وبالتالي هناك أول الأمم في أول الزمان وآخر الأمم كما في قوله تعالى { قالت **أولاهم لأخراهم** ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم ضعفين من العذاب – الأعراف 38 } .

والأخرة لرسول الله وأهل بيته عليهم السلام والمؤمنين في الدنيا والآخرة خير لهم لقوله تعالى { **وللآخرة** خير لك من **الأولى** – الضحى 4 } والآخرة فيها وعدين في الدنيا لبني إسرائيل قال تعالى في أولاهما { فإذا جاء وعد **أولاهما** بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا- الإسراء 5 } وأما وعد الآخرة قال تعالى فيه { فإذا جاء وعد **الآخرة** جئنا بكم لفيفا – الإسراء 105 } . ولذلك يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله { وللآخرة خير لك من الأولى – الضحى 4 } وكلا من الأولى والآخرة لله تعالى كما قال هنا **{ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى } .**

ثم يقول تعالى :

(14) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14)

وهنا :

(فأنذرتكم)

وهذا الإنذار بالقرآن الكريم لقوله تعالى { هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ **وَلِيُنذَرُوا** بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ – إبراهيم 52 } , ويقوم بهذا الإنذار رسول الله صلى الله عليه وآله ثم الأئمة من أهل بيته عليهم السلام من بعده لقوله تعالى { إنما أنت منذر ولكل قوم **هاد** - الرعد } وهذا الإنذار من نار الله تعالى التي لا يصلاها إلا الأشقى الذي تولى عن ذكر الله تعالى في قوله تعالى هنا { **فأنذرتكم** نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى – الليل } .

وأما :

(نارا تلظى**)**

والنار قال تعالى فيها مبيناً أنها للذين كفروا وكذبوا بآيات الله تعالى كما في قوله تعالى { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ **النَّارِ** ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ- البقرة 39 } وهؤلاء هم الذين تولوا عن طاعة الله تعالى هنا كما في الآية { فأنذرتكم **نَارًا** تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى – الليل } .

وأما :

(تلظى)

[وتلظت النار : أشتد لهيبها – معجم ألفاظ القرآن باب اللام فصل الظاء والياء] قال تعالى { كلا إنها **لظى** نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى وجمع فأوعى – المعارج } وهذه النار التي تلظى هنا لا يصلاها إلا الأشقى قال تعالى { فأنذرتكم نَارًا **تَلَظَّى** لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى – الليل } .

ثم يقول تعالى :

(15) لا يصلاها إلا الأشقى (15)

وهنا :

(لا يصلاها)

[الصلاء ماتزكى به النار معجم ألفاظ القرآن باب الصاد فصل اللام والياء] قال تعالى { فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ **تَصْطَلُونَ** – القصص 29 } وهؤلاء الذين يصطلون في النار هم الكفار والمنافقين لقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ **نُصْلِيهِمْ** نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا النساء 56 } وهذه النار لكفرهم بآيات الله تعالى وتوليهم غير الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام وهذه الولاية هي سبيل المؤمنين الذي أمرهم به الله تبارك وتعالى ومن يشاقق الرسول صلى الله عليه وآله ويخرج على سبيل المؤمنين سوف يصليه الله تعالى نار وقودها الناس والحجارة كما في قوله تعالى { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ **وَنُصْلِهِ** جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا – النساء 115 } . وهؤلاء هم الأشقياء هنا في قوله تعالى { **لا يصلاها** إلا الأشقى – الليل 15 } .

وأما :

(الأشقى)

والشقي هو الخارج على هدى القرآن الكريم لقوله تعالى { فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى – طه 123} وأشقاها قاتل ناقة صالح في الأولين في قوله تعالى { كذبت ثمود بطغواها إذا انبعث أشقاها – الشمس 12 } وأشقى الآخرين قتل الإمام علي ومن تولاى قتلة أهل بيت النبي عليهم السلام فهم الأشقياء في الدنيا والآخرة لقوله صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام : [يا علي أتدري من أشقى الأولين؟ قلت: الله ورسوله اعلم، قال عاقر الناقة، قال: أتدري من اشقى الآخرين؟ قال: قلت: الله ورسوله اعلم، قال: قاتلك« - تفسير الثعلبي ص277 ذيل الآية 180 من سورة الأعراف] .

و [روى ابن عبد البر بأسناده عن عثمان بن صهيب عن أبيه: «انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لعلي عليه السلام: من أشقى الأولين؟ قال: الّذي عقر النّاقة ـ يعني ناقة صالح ـ قال: صدقت، فمن اشقى الآخرين؟ قال: لا أدري، قال: الذي يضربك على هذا يعني يافوخه ويخضب هذه، يعني لحيته» - الاستيعاب القسم الثالث ص1125، ورواه البدخشي في نزل الأبرار ص29 وتحفة المحبين ص170 والشنقيطي في كفاية الطالب ص114] .

ثم يقول تعالى :

(16) الذي كذب وتولى (16)

وهنا :

(الذي كذب)

أي الذي كذب بالحسنى كما بينا في قوله تعالى من قبل { مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى - الليل 8-10} . والمكذبين بينا أنهم التاركين العمل بما أنزل الله تعالى لقوله عز وجل { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ – الجمعة 5 }

وأما :

(وتولى)

[وولى : ذهب وانصرف وولى على دبره – معجم ألفاظ القرآن باب الواو فصل اللام والياء] قال تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب – النمل 10 } والتولى هنا إعراض عن ذكر الله لقوله تعالى { فمن تولى بعذ لك فأولائك هم الفاسقون – آل عمران 82 } وقال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ – آل عمران 23 } والتولي هنا ترك طاعة الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله لقوله عز وجل { قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين – آل عمران 32 } وهؤلاء هم الأشقياء كما في الآية هنا { لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى – الليل } .
ثم يقول تعالى :

(17) وسيجنبها الأتقى (17)

وهنا :

(سيجنبها)

وهنا [جانبه الشيئ : نحاه عنه وأبعده – معجم ألفاظ القرآن باب الجيم فصل النون والباء]

قال تعالى { وَالَّذِينَ **اجْتَنَبُوا** الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ – الزمر 17-18 } . وهؤلاء هم الأتثياء الذين اجتنبوا كبائر ما نهى الله تبارك وتعالى عنه كما في قوله تعالى { إِن **تَجْتَنِبُوا** كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا – النساء 31 } .

وأما :

(الأتقى)

وهم الأكثر هم تقوى لله تعالى الذين بينا أمرهم في قوله تعالى بنفس السورة هنا { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى **وَاتَّقَى** وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى– الليل 5-7 } وأكرم هؤلاء عند الله تعالى أتقاهم كما في قوله تعالى { إن **أكرمكم** عند الله أتقاكم – الحجرات } أي أن مكانة هؤلاء عند الله تعالى على قدر تقواهم لله تعالى .فأكرمهم عند الله أتقاهم الذي أخرج حق الله تعالى في ماله كما في قوله تعالى هنا { وَسَيُجَنَّبُهَا **الْأَتْقَى** الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى – الليل 17-18 } .

ثم يقول تعالى :

(18) الذي يؤتي ماله يتزكى (18)

وهنا :

(الذي يؤتي ماله)

أي عمل بما أمر الله تعالى وأخرج زكاة ماله وما أمر الله تعالى به من صدقة وخمس ونفقة في سبيل الله تعالى لقوله تعالى {ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال – البقرة 247} فإن كان ذا سعة من مال وبلغ النصاب الشرعي من عقار أو أرض أو ذهب وفضة أو أنعام أو كل شيئ نفيس فقد أمر الله تعالى بإخراج زكاة من هذا المال لورد هذه الآيات في قوله تعالى { **وآتوهم** من **مال** الله الذي آتاكم النور 33 } وعدم إخراج حق الله تعالى في المال يدخل العبد في دائرة الربا لقوله تعالى { وَمَا **آتَيْتُم** مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي **أَمْوَالِ** النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ – الروم 39 } .

وأما :

(ماله يتزكى)

أي طهر نفسه بإخراج حق الله تعالى في ماله لقوله تعالى { خذ من **أموالهم** صدقة تطهرهم **وتزكيهم** بها – التوبة 13 } وهؤلاء كما في الآية هنا الذين سيجنبهم الله تعالى جهنم في قوله تعالى { وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي **مَالَهُ يَتَزَكَّى** – الليل 17- 18 } . ويقول تعالى { ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير – فاطر 18 } ومن تزكى فهو الذي عمل بما أمر الله تعالى وتولى الله ورسوله وأهل بيته كما أمر الله تعالى وقال فيمن عمل بأوامر الله تعالى فهو الذي زكاه الله تعالى بطاعته رسول الله صلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى { كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا **ويزكيكم** وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تكونوا تعلمون – البقرة 151} وقال تعالى أيضاً { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ **وَيُزَكِّيهِمْ** وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ – الجمعة 5 } . وهؤلاء هنا هم الذين سيجنبهم الله تعالى جهنم في قوله تعالى { وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ **يَتَزَكَّى** – الليل 17- 18 } .

ثم يقول تعالى :

(19) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)

وهنا :

(وما)

(وما) وردت هذه الآيات في قوله تعالى { **وما** الله بغافل عما تعملون – البقرة 74 } أي أن الله تعالى ليس بغافل عما يعمل الظالمون وأما الذين اتقوا هنا قال تعالى فيهم (**وَمَا** لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى – الليل 19-21 } .

(لأحد)

يقول الطبري في تفسيره : [القول في تأويل قوله تعالى : (وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) كان بعض أهل العربية يوجه تأويل ذلك إلى : وما لأحد من خلق الله عند هذا الذي يؤتي ماله في سبيل الله يتزكى (مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى) يعني: من يد يكافئه عليها، يقول: ليس ينفق ما ينفق من ذلك، ويعطي ما يعطي، مجازاة إنسان يجازيه على يد له عنده، ولا مكافأة له على نعمة سلفت منه إليه، أنعمها عليه، ولكن يؤتيه في حقوق الله ابتغاء وجه الله. قال: وإلا في هذا الموضع بمعنى لكن، وقال: يجوز أن يكون يفعل في المكافأة مستقبلا فيكون معناه: ولم

يرد بما أنفق مكافأة من أحد، ويكون موقع اللام التي في أحد في الهاء التي خفضتها عنده، فكأنك قلت : وما له عند أحد فيما أنفق من نعمة يلتمس ثوابها،.. [

وهنا ورد لفظ أحد في قوله تعالى { قل إنما أدعوا ربي ولاأشرك به **أحدا** – الجن 20 } وهؤلاء الذين أطاعو الله تعالى ولم يشركوا به شيئاً ما بهم من نعمة فمن الله تعالى ولا يبتغون بنفقاتهم منها في سبيل الله تعالى وكما أمر إلا ثواباً ونعمة من الله تعالى كما في الآية هنا { وَمَا **لِأَحَدٍ** عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى – الليل 19-20 } . ومن منع حق الله تعالى وعصاه قال تعالى فيه { فما منكم من **أحد** عنه حاجزين – الحاقة 47 } .

وأما :

(عنده)

وهذا اللفظ ورد في قوله تعالى في المنفقين أموالهم في سبيل الله تعالى { الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم **عند** ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون – البقرة 274} .

وأما :

(من نعمة)

وهنا أهم نعمة يجزاها الله تعالى هى نعمة الولاية ولا تتم إلا بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام لقوله تعالى { كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون – النحل 81 } وتمام النعمة بإكمال الدين لقوله تعالى { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم **نعمتى** ورضيت لكم الإسلام دينا – المائدة } وإكمال النعمة وتمام الدين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام [في حجّة الوداع، جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين، وهو عائد من حجه، في بقعة تسمى بغدير خمّ، وفي حر الهاجرة تفيأ ظل إحدى السمرات، وهي الشجرة العظيمة، حيث وضع له منبر من أحداج الإبل، فاعتلاه مخاطباً جموع الحجيج:((أيها المؤمنون ألست أولى بكم من أنفسكم؟)), قالوا: بلى يا رسول الله.قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار))، آخذاً بيد علي قال فيه النبي (صلى الله عليه وآله) للمسلمين : «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا : بلى. فقال: من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه ، فنهض عمر بن الخطاب وقال: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن أصبحت

مولايَ ومولى كل مسلم ومسلمة». (النهاية لابن كثير:7 /386) . - النهاية لابن كثير:7 /386] .
ونعم الله تعالى بعد ذلك لا تحصى كما في قوله تعالى { وإن تعدوا **نعمة** الله لا تحصوها إن لله لغفور رحيم – النحل 18 } وهذه النعم لم يؤدي حقها إلا من آمن بالله تعالى وتولاه ورسوله وأهل بيته ولم يبتغي بها إلا وجه الله تعالى ولن يجازي عليها إلا الله تعالى كما في الآية هنا { وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ **مِنْ نِعْمَةٍ** تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى – الليل 19-21 } .

وأما :

(تجزى)

الجزاء هو المكافئة من الله تعالى لمن تولوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآهل بيته عليهم السلام ولم ينقلبوا على أعقابهم وهؤلاء سيجزيهم الله تعالى كما في قوله تعالى { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ **وَسَيَجْزِي** اللَّهُ الشَّاكِرِينَ – آل عمران 144 } .
وهؤلاء هم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام خير البرية لما نزل فيهم من قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ **جَزَاؤُهُمْ** عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ – البينة 7- 8} . وهؤلاء يجزيهم الله تعالى الجزاء الأوفى لقوله تعالى { وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ **يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ** الْأَوْفَىٰ – النجم 39-41 } .

ثم يقول تعالى :

(20) إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى (20)

وهنا :

(إلا)

ورد لفظ إلا في قوله تعالى في استثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من عذاب الله تعالى في قوله عز وجل { **إلا** الذين آمنوا وعملوا الصالحات - العصر } وهؤلاء هم الذين لا ينفقون ولا يعملون إلا ابتغاء وجه ربهم كما في الآية هنا { **إلا** ابتغاء وجه ربه الأعلى } .

وأما :

(ابتغاء)

وهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وثبروا على طاعة الله تعالى وابتلاءه كما في قوله تعالى { وَالَّذِينَ صَبَرُوا **ابْتِغَاءَ** وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ – الرعد 22 } وهم الذين أنفقوا ابتغاء وجه ربهم كما في الآية هنا .

وهؤلاء هم المسلمون الذين عملوا بكتاب ربهم ولن يقبل الله تعالى إسلاماً من أحد قدم رأياً على كتاب الله سواء كانوا كفاراً أو منافقين مصداقاً لقوله { وَمَن **يَبْتَغِ** غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ – آل عمران 85 } .

وأما :

(وجه ربه)

والوجه هنا يطلق على كل من وحد وجهته لله تعالى لوروده في قوله تعالى { اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم **وجه** أبيكم – يوسف } وهؤلاء هم الذي أسلموا لله تعالى موحدين وجهتهم له عز وجل ولكتابه الكريم وولاية رسوله وأهل بيته عليهم السلام لقوله تعالى { وَمَن يُسْلِمْ **وَجْهَهُ** إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ – لقمان 22 } والعروة الوثقى هى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله تعالى لقوله عز وجل { فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها – البقرة } والإيمان يقوم على ولاية الله ورسوله ثم أميرر المؤمنين لما نزل فيه من قوله تعالى { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون – المائدة } وهؤلاء هم الذين قال تعالى فيهم يوم القيامة { كل شيئ هالك إلا وجهه – القصص 88 } أي كما قال تعالى { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام – الرحمن } وهنا يصح قول الإمام الصادق عليه السلام [" نحن وجه الله الذي يؤتى منه "] وهؤلاء الرسل والأنبياء ثم الأئمة من ذريتهم هم وجه الله الذي يؤتى منه ولذلك قال تعالى فيهم يوم القيامة بالتصريح { لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذيكنتم توعدون – الأنبياء 103 } وهؤلاء هم وجه الله الذي استثناهم من هلاك يوم القيامة ونزول عذابه بالخلق فلا يحزنهم نفخة الصعق كما في قوله تعالى { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ

مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ – الزمر 68 } .

وأما :

(الأعلى)

والأعلى هو الله تبارك وتعالى كما في قوله تعالى { سبح اسم ربك **الأعلى** – الأعلى 11 } وكلمته تعالى في الدنيا والآخرة هى العليا الغالبة والمنتصرة وليس مدرسة الرأي أو الهوى من المتقولين في كتاب الله بغير علم من الله تعالى ورسوله وأهل بيته عليهم السلام لذلك يقول تعالى { وجعل كلمة الذين كفروا السلفى كلمة الله هى **العليا** – التوبة } ومن آمن بالله تعالى وتولاه ورسوله وأهل بيته عليهم السلام فهم الأعلون كما في قوله تعالى { وأنتم **الأعلون** إن كنتم مؤمنين – آل عمران 39 } وهؤلاء سيجزيهم الله تعالى الجزاء الأوفى كما في الآيات هنا { وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ **الْأَعْلَى** وَلَسَوْفَ يَرْضَى – الليل 19-21}

ثم يقول تعالى :

(21) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)

وهنا يقول تعالى { **ولسوف** يعطيك ربك **فترضى** - الضحى 5 } ومن أمر بصدقة ولم يتكلم إلا بمعروف كما أمر الله تعالى فسوف يؤتيه أجراً عظيماً لقوله تعالى { لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ **مَرْضَاتِ** اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا – النساء 114 } .

وأما :

(يرضى)

الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر كما في قوله تعالى { ولا **يرضى** لعباده الكفر - -الزمر 7 } وبالتالي الله تعالى لا يرضى إلا بالإيمان ولا يرضى المؤنون غير الله تبارك وتعالى إلاهاً

فالرضى هنا متبادلاً بين الله تعالى والذين آمنوا به وعملوا الصالحات وتولوه ورسوله وأهل بيته عليهم السلام لقوله تعالى في حزبه الغالبون الذين تولوا الإمام علي لما نزل فيه من قوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ – البقرة 207} [والآية نزلت في الإمام علي كما في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني] ومن المؤمنين من شرى نفسه لله فهو داخل في الآية إلى يوم القيامة ومنهم الصحابي الجليل صهين الرومي (رضى الله عنه وأرضاه) ولكنها نزلت في الإمام علي عليه السلام .

وكذلك قوله تعالى عن الإمام علي وشيعته

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ– البينة 7-8 } جاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي في تفسير هذه الآيات وغيره من كتب السنن :

1- [خرج الامام الطبري في تفسيره ج30ص335عن أبي الجارود عن محمّد بن علي (أولئك هم خير البرية) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنت يا علي وشيعتك. 2-اخرج الامام السيوطي في الدر المنثور ج6ص379 والشوكاني في الفتح القدير ج5ص477 وابن مردويه في المناقب ص346]

2-[(عن ابن عباس قال: لمّا نزلت هذه الآية (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: (هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين).]

3- [اخرج الامام احمد في فضائل الصحابة ج2ص 654 عن أمّ سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي في ليلتي فغدت عليه فاطمة وعلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي أبشر فإنّك وأصحابك وشيعتك في الجنّة.]

4- [اخرج الامام الطبراني في المعجم الكبيرج1ص319 (وبإسناده أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي: أنت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم وإنّ عدوّك يردون على الحوض ظماء مقمحين).]

5- [اخرج الامام ابن عساكر في تاريخ دمشق ج42ص333 (عن أبي سعيد قال: نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي فقال: هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة. وجاء المصدر السابق (عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ عن يمين العرش كراسي من نور عليها أقوام تلألأ وجوههم نورا. فقال أبو بكر: أنا منهم يا نبي الله؟ قال: أنت على خير. قال: فقال عمر: يا نبي الله أنا منهم؟ فقال: مثل ذلك، ولكنّهم قوم تحابّوا من أجلي وهم هذا وشيعته. وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب. أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال:

كنا عند النبي (صلى الله عليه وآله) فأقبل علي فقال النبي (صلى الله عليه وآله) والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت (إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات-أولئك هم خير البرية) فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) إذا أقبل علي قالوا: جاء خير البرية.]

6- [اخرج الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج1ص85عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه في قول الله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم) قال: النبي ومن معه وعلي بن أبي طالب وشيعته. وفيه ايضا عن يزيد بن شراحيل الانصاري عن علي: سمعت عليا يقول: قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا مسنده إلى صدري فقال: يا علي ألم تسمع قول الله: (إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات- أولئك هم خير البرية) هم شيعتك و موعدي و موعدكم الحوض إذا اجتمع الأمم للحساب يدعون غرا محجلين.]

7- [وأخرج ابن مردويه عن علي (عليه السلام) قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ألم تسمع قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) إلخ هم أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرا محجلين الدر المنثور للسيوطي ج 6 ص أخرج ذلك ابن مردويه عن أبي رضي الله تعالى عنه وهو مخالف لما صح عنه فلا يعول عليه كما لا يخفى على العارف بعلم الحديث. أخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: يا عائشة أما تقرئين (إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات - أولئك هم خير البرية)؟ وأيضا عن ابن مردويه عن علي.]

8- [أقول: وروي هذا المعنى أيضا اخرج ابن عدي عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) هم أنت وشيعتك.]

9- [ورواه أيضا في البرهان، عن الموفق بن أحمد في كتاب المناقب عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب علي عنه و في المجمع، عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: (هم خير البرية) قال: نزلت في علي و أهل بيته.]

10- [قال النبي (صلى الله عليه وآله) يا علي أنت وشيعتك تردون على الحوض مرويين مبيضة وجوهكم، وإن أعداءك يردون على الحوض ظماء مقمحين ". الهيثمي في مجمع الزائد] .

وكذلك يدخل في الذين رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله السابقون الأولون وأيضاً فيهم الإمام عليه عليه السلام لقوله تعالى

{ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ – التوبة 100 } .

وكذلك كل من عمل عمل ابتغاء مرضاة الله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان قال تعالى فيه { وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ – التوبة 109 } .

وهؤلاء الذين سوف يعطيهم الله تعالى حتى يرضوا لقوله تعالى { وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى –الليل 19-21 } أهـ .

هذا وبالله التوفيق

ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

انتهى العمل من هذه السورة الشريفة

في 23 ديسمبر سنة 1999 ميلادي الموافق 16 رمضان سنة 1420هجرية .